

ليلة القدر وفضل إحياء العشر الأواخر



قال سبحانه وتعالى: (حم) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * وَآلِ الْكُرْبَةِ إِذْ رَكَعَتْ * وَإِزْهَاقِ الْعَيْنِ إِذْ فَتَقَتْ * وَإِجْرَ الْبُرْجِ إِذْ نَبَتْ * وَنُجُومٍ مُّضِيَّاتٍ * وَنُجُومٍ مُّكْنُوتٍ * وَمِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ إِذَا تُنْفَخَتِ الْفُجُورُ * وَنُجُومٍ مُّضِيَّاتٍ * وَنُجُومٍ مُّكْنُوتٍ * (الدخان/ 1-6). اليوم هو الحادي والعشرين من شهر رمضان، وهذا اليوم هو بداية دخولنا في رحاب الأيام العشر الأواخر من هذا الشهر المبارك، الأيام التي ورد التأكيد في الأحاديث على إحيائها والاستزادة فيها من العبادة، بالدُّعاء والاستغفار وقراءة القرآن والذكر، وكل ما دعينا إليه في شهر رمضان، نتأسى في ذلك برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يجتهد في العشر الأواخر بما لا يجتهد في غيرها، اعتكافاً ودُّعاءً وقياماً. وهذا التأكيد على إحياء العشر الأواخر، يستجيب لتطلعات الصائم في الارتقاء بعبادته وأعماله، ليعزز القيمة الروحية في نفسه، بحيث يكون عمله في نهاية الشهر أرقى منه في بداياته. ولذلك نقرأ في الدعاء: «اللهم اجعل مستقبل أمري خيراً من ماضيه، وخير أعمالى خواتيمها»، فضلاً عن أننا غالباً ما نفتخر في نهايات أي عمل، وهذا ما نلاحظه في أواخر أيام شهر رمضان، ما يتطلب العمل للتعويض عن أي تقصير قد حصل منا، حتى لا ينتهي هذا الشهر وقد حرمتنا فيه من بركاته وعطاءاته، وأهمها، ما وعدنا به الصائمون القائمين من العتق من النار والفوز بالجنة.

ولذلك، نقرأ في الدعاء الوارد في العشر الأواخر من شهر رمضان: «اللهم... وهذه أيام شهر رمضان قد انقضت، وليلاليه قد تصرمت، وقد صيرت يا إلهي منتهى إلى ما أزلت أعلام به مني، وأحصى لِعَدَدِهِ مِنَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ. اللَّهُمَّ... إِنَّ كُنْتُ رَضِيئَةً عَنِّي فِي هَذَا الشَّهْرِ فَأَزِدْ عَنِّي رِضًا، وَإِنْ لَمْ تَكُن رَضِيئَةً عَنِّي فَامِنْ الْآنَ فَارْضَ عَنِّي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ...» «اللهم... أَدِّ عَنَّا حَقَّ مَا مَضَى مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَاعْفِرْ لَنَا تَقْصِيرَنَا فِيهِ، وَتَسَلِّمْهُ مِنَّا مَقْبُولًا، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِإِسْرَافِنَا عَلَى أَنْفُسِنَا، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْمُرْحُومِينَ، وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْمُحْرُومِينَ». وما يزيد من شرف العشر الأواخر وتألُّقها وتميُّزها، هو احتضانها لليلة هي ليست كبقية الليالي، وقد أباننا عظيم فضلها وشرفها وكرامتها، عندما أنزل فيها قرآناً: (إِنَّ زَيْدًا

أَنْزَلَ نَزْلَهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (سورة القدر/ 1-5).

فبركة هذه الليلة، تعود إلى الأجواء الروحية والإيمانية التي تطلُّ لها، ولما يغدقه □ فيها من عطاءات مما لا يغدقه في أيّ ليلة من الليالي. ففي هذه الليلة، نزل القرآن على قلب رسول □ (صلى □ عليه وآله وسلم)، أو كان بداية تنزله عليه، ليكون للناس هدى ونوراً وبشرى وشفاءً لما في الصّـدور، ومنحةً لهم من ربهم، وهذه الليلة هي عند □ خير من ألف شهر، أي أنّ العمل الذي يحصل فيها يوازي العمل في ألف شهر. وهذا مظهر إضافيٍّ لكرم □ الذي عوّد عليه عباده، وبركة ليس بعدها بركة، لا يحرم من خيرها إلا كلُّ محروم، ولا يوفّق إليها إلا كلُّ مسعود. وهي الليلة التي تنزل فيها الملائكة، ومعهم الروح الذي فسّر بأنّه جبريل، أو ملك هو أعظم من جبريل، إلى السّماء الدُّنيا، حتى تضيق الأرض بهم، وهم عندما ينزلون، فإنّهم يحملون للعباد رحمةً ورضواناً من خالقهم، ويفيضون على الأرض سلاماً وطمأنينةً تمتدّ حتى مطلع الفجر.